دنيا المرأة

حقيقة الأدب

بقلم الآنسة منيرة عيسى
ليسانسية في الحقوق

٨٧

في الأدب التركي — كما في الآداب الشرقية الاخرى — يبرز العامل الروحي وتسوده الفلسفة المثالية وتغمره نزعة خلقية هي نتيجة تأثير الديانات المختلفة التي تكون أولى مقاصدها عادة تهذيب الاخلاق وتقريبها من مثلها العليا . والمجتمع التركي كان طول القرون الماضية تحت تأثير هذه العوامل والمفاهيم الشرقية وربما أمكن القول أنه لما يزل كذلك رغم محاولة قادته السير به في ركاب الغرب المادي . فهو لا يزال يتحسس بهذه الاحاسيس ويتمسك بتلك الفلسفة القديمة التي حافظت نوعاً ما على كيانه الاخلاقي . ويمكن تلمس رغبات المجتمع التركي وعواطفه ونزعاته في أدبه وقد وجدت أن خير طريقة لتفهم هذا الادب وبالتالي فهم ماهية المجتمع هو بدراسة نتاج أدبائه وان الحكم لأجدى في هذه الدراسة لما يتركز فيها من المعاني ولا ريب ان وراء هذه المعاني تكمن نفسية قائلها وقد قال الأستاذ أمين الخولي بأن لا يمكن فهم الأدب إلا بفهم نفسية صاحبه كما انا لا نفهم نفسية صاحبه الا على ضوء من فهم أعماله وآثاره ومنها أدبه وفنه وبانه اذا ما استطعنا الوصول الى أبعد المرامي لأدبه والمقاصد الخفية لفنه والمعاني الدقيقة لآثاره اكملنا بهذه الخفايا فهم شخصيته النفسية .

ولعل ذلك يصح في دراسة نفسية المجتمع من تتبع الافكار التي تتضمنها أقوال عدة أدباء في هذا المجتمع ورغم اني ترجمت ما وجدته متيسراً وما ينطبق نوعاً ما على ما ادعيه فلا زال هناك الكثير مما قرأته ومما لم أقرأه شاهداً على ماذهبت اليه آنفاً . والحكم التي ترجمتها هي :

(١) أنت رحيم كريم اذا اعطيت ولكن لا تنس وأنت تعطي ان تدير وجهك عمن تعطيه لكي لا ترى حياءه عارياً أمام عينيك .

(٢) قد تنسى من أضحكك ولكنك لا تنسى من أبكاك .

(٣) المحبة التي لا تتبع في كل يوم تنضب وتفنى في كل يوم .

(٤) أنت حر أمام شمس النهار وأنت حر أمام قمر الليل وأنت حر حيث لا شمس ولا قمر ولا كواكب بل أنت حر حينما تغمض عينيك عن الكون باجمعه . ولكنك عبد لمن تحب لأنك تحبه ، وعبد لمن يحبك لانه يحبك .

(٥) ما أنبل القلب الحزين الذي لا يمنعه حزنه من أن ينشد أغنية مع القلوب الفرحة .

(٦) الرجل الذي لا يغتفر للمرأة هفواتها الصغيرة لن يتمتع بفضائلها العظيمة .

(٧) كل عمل عظيم أساسه المرأة .

وبانتخابي لهذه الحكم أردت أن أبرهن على أن المجتمع التركي الحديث لا زال يتمسك بفضائل القديم ويتمثل ذلك فيما جاء في الحكمة الاولى من نكران الذات . ولا غرو فان الاسلام الذي تغلغلت تعاليمه في المجتمع التركي هو الذي أكسبه هذه الصفة لان من تعاليمه الرئيسية أن يحب المسلم لاخيه ما يحبه لنفسه رغم أن المجتمع التركي حريص في عيشه لما تتطلبه طبيعة الأرض من عمل وجهد في سبيل كسب العيش ونظراً للظروف الاقتصادية الناشئة عن ذلك ولكن عمل التقاليد الموروثة كان أعظم أثراً فلم ينس المجتمع التركي الروحية الشرقية ومنها أن الانسان يغدو رحيماً اذا هو أعطى ولكنه لا يصبح وصفه بالرحمة اذا هو تظاهر بهذا الكرم لانه من كرم الاخلاق التي يقرها المجتمع هو أن المساعدة التي يقدمها بني البشر تكون جديرة اذا لم تشبها الانانية وهذه هي الفلسفة التي تتضمنها سجية الكرم .

أما الحكمة الثانية فتشير الى أن المجتمع التركي كبقية

المجتمعات الشرقية يحس بالألم والحزن المتأتي عن الاحداث التي مرت به وتغلب هذه العاطفة على بقية العواطف ويرى انها أقواها تأثيراً وأبعدها أثراً فهو عنده المحك الذي يصقل النفوس ويبقى عالقاً في الاذهان . وهذا ناتج عن كبت العواطف الطبيعية التي حرمتها الاديان والتقاليد والعادات حرمت عليه التلذذ بها واشباع رغباته منها فصار ينحو هذه الناحية ويسمو بعاطفته في هذا الجو الحزين ويتمسك بالفلسفة والورع والدين .

وفي الحكمة الثالثة ننتقل الى جو آخر جو أكثر تأملا وخيالا ، جو تتمثل فيه المثالية باجلى مظاهرها وهو الحب الذي يكون ضرورة ماسة لبقاء المجتمع لانه يتضمن عنصر التعاون الضروري لمجتمع مثل المجتمع التركي الذي تقسو عليه الطبيعة فتجعل التعاون في حياته ضرورة ماسة ولذا فان المحبة أو بالاحرى التعاون اذا لم تتجدد عناصره في كل يوم فانه يفنى ويزول .

والحكمة الرابعة تشير الى ان المجتمع الذي تحيطه القيود الاجتماعية ، والعقبات الطبيعية ، ينزع بطبيعته الى تلمس الحرية فيجدها في كل مكان ولكنها ممنوعة عنه لانها توجد حيث القيود الاجتماعية حيث يجب أن يكرس كل انسان جزءاً من حريته للآخر ويجعلها وقفاً عليه دون غيره لتتم العلاقات الاجتماعية . وكأنه ينصح بهذه الرغبة عن النزوع الى الحرية البدائية المطلقة التي طالما تحينت الفرص للانطلاق من معقلها في العقل الباطن .

ونرجع في الحكمة الخامسة الى ما يؤدي اليه كبت الغرائز البدائية من تسام متمثل في سجية النبل التي لا تتحقق إلا بكبت الشهوات والسير مع الركب الاجتماعي دون ابداء ما يختلج في النفس من عواطف تتعارض وما جبل عليه المجتمع .

وفي القولين الاخيرين يتمثل أخذ المجتمع التركي باسباب الحضارة الحديثة التي جعلت للمرأة مكانة لا تقل عن مكانة الرجل وبينت أهميتها في المجتمع بعد أن كان المجتمع القديم يجهل مقامها الجهله فيعتبرها وسيلة للهو وزينة للحياة وبين العلم أن الفروق بينهما واهية فغدت المرأة صديقاً للرجل والصديق الذي تعد أخطاءه الصغيرة ويلام على هفواته التافهة ربما أدى به ذلك الى قطع حبل المودة وكأن قائل الحكمة أخذ بقول الشاعر :

اذا كنت في كل الامور معاتباً
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أو صل اخاك فانه
مقارف ذنب مرة ومجانبه

وفي القول الاخير أخذ القائل بتعظيمه المرأة واجلاله لها بقول نابليون « إن المرأة التي تهز المهد بيمنها تهز العالم بيسارها » وقد أصبح هذا المفهوم بديهياً لا تنكر مزية المرأة مادام رجود المجتمع بدونها مستحيل .

نخلص مما سبق ان الادب القديم لا يمكن أن يسمى في الوقت الحاضر أدبا لانه أدب ألفاظ لا يمت الى الواقع بأية صلة . وانني رغم قصوري في هذا الباب أود أن أكون محفزة للادباء والكتاب ومشجعة بما كتبته آنفاً على الكتابة باسلوب واقعي يتفق وهوى أنفس الاكثرية وان لا يكثروا من التقيد باللفظ والكتابة للخاصة وعسى أن أوفق الى ذلك .

بغداد — منيرة عيسى

اعلان

البيان العدد ٦٧ و ٦٨ — التاريخ ١٠/٧/٤٩

سيجري تسجيل الدار المرقمة ٥٨ - ٤٩ تـ ٢٩٨ الواقعة في محلة الحويش في النجف مجدداً من الانتقال باسم ورثة الايراني الحاج حسين بن رحمة الله باعتبارها ملكاً صرفاً فعلى من يدعي خلاف ذلك مراجعتنا خلال ثلاثين يوما من تاريخ أول نشرة مستصحباً مستنداته .

١-٣ — طابو النجف

المحامي

أحمد رشيد البراهمه

يتوكل في كافة الدعاوى داخل النجف وخارجها

مكتبه قرب البلدية السابقة